

العلل في الحديث عند الإمام الشافعي في ضوء كتابه الرسالة

THE REASONS FOR THE HADITH ACCORDING TO IMAM AL-SHAFI'I IN
LIGHT OF HIS BOOK AL-RISALA

مسعود سليمان *

ABSTRACT:

This study aimed to reveal the life of Imam Al-Shafi'i, his birth, and upbringing, his scientific efforts and the praise of scholars for him, and his efforts in the science of the reasons for hadith through the book Al-Risala, where the most prominent topics of this science were quoted from the Imam, because of its great importance in clarifying the accuracy and authenticity of the hadith, and distinguishing what is true from what is true. Error. This study sought the inductive approach, by extrapolating the existing reasons, and the descriptive approach, by presenting the topics related to the research and studying them analytically. This study concluded that the efforts of Imam Al-Shafi'i in studying the reasons for the hadith by identifying the aspects of reconciliation between the different hadiths bridged the A chapter from which today's skeptics, who are affiliated with Islam, and other Orientalists and their Imitators, could resort to challenging the Sunnah of the Prophet. Indeed, by setting the rules based on which the Book of God Is understood, and with the

* طالب في مرحلة الماجستير، كلية الدراسات الإسلامية، جامعة ماردين أرتوكلو،

جمهورية تركيا

evidence presented proving the authority of the single narrations, he blocked the way for those who wanted legal texts today. Sabbath Is permissible for everyone; He understands it how he wants, takes from It what he wants, and leaves what he wants

KEYWORDS: Reasons, Al-Shafi'i, The Sunnah of The Prophet, Various Hadiths, Abrogated and Abrogated

الملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن حياة الإمام الشافعي مولده ونشأته وجهوده العلمية وثناء العلماء عليه، وعن جهوده في علم علل الحديث من خلال كتاب الرسالة، حيث نقلت عن الإمام أبرز مواضيع هذا العلم، لما فيه أهمية كبيرة في بيان دقة الحديث وصحته، وتمييز الصواب من الخطأ، وقد سلكت هذه الدراسة المنهج الاستقرائي وذلك من خلال استقراء العلل الموجودة في كتاب الرسالة، وعلى المنهج الوصفي التحليلي وذلك من خلال وصف تلك العلل ودراستها دراسة تحليلية، وتوصلت هذه الدراسة إلى أن جهود الإمام الشافعي في علم علل الحديث بضبطه أوجه التوفيق بين الأحاديث المختلفة سد بابًا كان بإمكان المشككين اليوم ممن ينتسبون للإسلام، ومن غيرهم من المستشرقين ومن قلدهم أن يلجوا منه للطعن في السنة النبوية، بل إنه بضبطه القواعد التي على أساسها يفهم كتاب الله، وبما قدم من الأدلة إثبات حجية خبر الآحاد سد الطريق على من أراد النصوص

الشرعية اليوم سبباً مباحاً لكل من هب ودب؛ يفهمها كيف يشاء، ويأخذ منها ما يشاء، ويدع ما يشاء.

الكلمات المفتاحية: العلل، الشافعي، السنة النبوية، مختلف الحديث، الناسخ والمنسوخ.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين...

وبعد: يقول المولى عز وجل في كتابه الكريم: {وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها} إبراهيم: ٣٤

فمن منا يستطيع أن يحصي نعم الله عليه؟ فهي تامة لا ينقصها شيء، وكثيرة لا يحصيها أحد إلا الله وحده سبحانه وتعالى.

وكان من جلائل نعم الله علينا أن قيّض رجالاً لسنة نبيه صلى الله عليه وسلم حفظوها وتناقلوها واطالوا الدراسة فيها، وحفظوها من الدس والتحريف، ولعل من أبرز هؤلاء الرجال وأعلمهم هو الإمام الكبير محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله صاحب المذهب، وصاحب كتاب الرسالة والام، له العديد من المؤلفات في شتى العلوم والفنون.

وفي هذا البحث سنتطرق إلى حياة هذا الإمام وسيرته العطرة، وذكر نبذة عن كتابه الرسالة وبعض جهوده العلمية، كما سنتطرق إلى كل ما يتعلق بموضوع

العلل في الحديث وذلك من خلال عرضها ودراستها دراسة تحليلية، سائلين المولى عز وجل التوفيق والسداد، وأن يزيدنا علماً وعملاً وإيماناً وصعوداً، عليه توكلت وهو رب العرش العظيم.

منهج البحث: وقد اعتمدت في بحثي هذا على المنهج الاستقرائي وذلك من خلال استقراء العلل الموجودة في كتاب الرسالة وعلى المنهج التاريخي وذلك من خلال ذكر سيرة الإمام وتاريخ ميلاده ووفاته، وعلى المنهج الوصفي وذلك من خلال عرض المواضيع المتعلقة بالبحث ودراستها دراسة تحليلية.

مشكلة البحث وأسئلته: يحاول هذا البحث الإجابة عن الأسئلة الآتية:

١- ما هي وجوه علل الحديث عند الإمام الشافعي؟
٢- ما المنهج الذي سلكه الإمام الشافعي في التوفيق بين الأحاديث المختلفة اختلافاً ظاهرياً؟

٣- ما هي شروط الإمام الشافعي في قبول النسخ؟ وبم يعرف النسخ؟
أهمية البحث: تكمن أهمية هذا البحث بما يأتي:

١- ضرورة القيام بجمع مباحث علوم الحديث عند الإمام الشافعي ومن ضمنها العلل في الحديث وتحريرها، وتذليل صعوبتها، وتقريبها إلى طلبة العلم والباحثين.

٢- الكثير من طلبة العلم يجهلون قيمة هذا العلم، فكان لزاماً أن أختار هذا الموضوع لأهميته.

٣- يمكن أن يسهم هذا البحث في إثراء المحتوى العلمي فيما يتعلق بعلم
علل الحديث.

٤- استخلاص العبر والدروس من سيرة الإمام الشافعي من الصبر والتحمل
من أجل العلم، ليكون قدوة لطلاب العلم.
دراسات سابقة: بعد البحث عن دراسات مشابهة لدراستي هذه وجدت
الدراسات الآتية:

١- الشافعي ناصر السنة وواضع الأصول: لعبد العليم الجندي، دار
المعارف- القاهرة، الطبعة الثانية، وهو كتاب تناول سيرة الإمام أكثر من
علومه ولكن الكاتب خصص قسماً مستقلاً وسماه "رسالة الشافعي" إلا أنه
نقل النصوص التي ذكرها الشافعي دون تحليل ودراسة، بل اقتصر على نقل
النصوص فقط.

٢- منهج الإمام الشافعي في علم مختلف الحديث: وهو بحث للدكتور ناجي
لمين، أستاذ بدار الحديث الحسنية المغربية للدراسات العليا- الرباط، وقد
تناول فيه مختلف الحديث في عنوانين:
الأول: وجه الاختلاف بين الأحاديث عند الشافعي ومنهجه في ترجيح بعضها
على بعض.

الثاني: التطبيقات الفقهية لمنهج الشافعي على مختلف الحديث.

٣- بحث بعنوان: "جهود الإمام الشافعي في خدمة السنة النبوية وعلوم
الحديث" للدكتور أيمن جاسم الدوري، بين فيه الباحث مكانة السنة عند

الإمام الشافعي ودوره في الرد على منكريها مع بيان بعض آرائه في علوم الحديث.

وجميع هذه الدراسات وإن اشتركت في بعض جوانب بحثي إلا أن بحثي هذا يخص علم العلل في كتاب الرسالة للإمام الشافعي والذي لم أجد من خصص له دراسة مستقلة.

خطة البحث: استدعت طبيعة هذا البحث لتقسيمه لمبحثين الأول بعنوان ترجمة الإمام الشافعي والثاني بعنوان علل الحديث في كتاب الرسالة، ويشمل كل بحث مطالب متعددة.

المبحث الأول: ترجمة الإمام محمد بن إدريس الشافعي.

المطلب الأول: اسمه ونسبه، ومولده ونشأته.

المطلب الثاني: نشأته العلمية

المطلب الثالث: شيوخه.

المطلب الرابع: تلاميذه.

المطلب الخامس: ثناء العلماء عليه.

المطلب السادس: كتابه الرسالة وجهوده العلمية الأخرى.

المطلب السابع: محنته ووفاته.

المبحث الثاني: علل الحديث في كتاب الرسالة.

المطلب الأول: تعريف علل الحديث لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: أهمية علم علل الحديث.

- المطلب الثالث: أقسام الحديث المُعَلَّ.
- المطلب الرابع: السنة من حيث موافقتها للقرآن ومخالفتها له.
- المطلب الخامس: تعريف علم مختلف الحديث عند الإمام الشافعي.
- المطلب السادس: أهمية علم مختلف الحديث ونشأته.
- المطلب السابع: موقف الإمام الشافعي من الأحاديث المختلفة.
- المطلب الثامن: منهج الإمام الشافعي في الجمع بين الأحاديث المختلفة
اختلافا ظاهرياً.
- المطلب التاسع: تعريف النسخ لغةً واصطلاحاً.
- المطلب العاشر: تعريف النسخ عند الإمام الشافعي.
- المطلب الحادي عشر: أهمية علم النسخ والمنسوخ في الحديث.
- المطلب الثاني عشر: أدلة اثبات وقوع النسخ عند الإمام الشافعي وشروطه.
- المطلب الثالث عشر: بمَّ يُعرف النسخ والمنسوخ.
- ثم الخاتمة.
- المبحث الأول: ترجمة الإمام محمد بن إدريس الشافعي.
- المطلب الأول: اسمه ونسبه، ومولده ونشأته.

● اسمه ونسبه: أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف بن قصي الشيخ أبو عثمان القاضي¹.

يجتمع مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في عبد مناف بن قصي، هكذا نسبة الربيع بن سليمان وغيره، قال: وهو ابن عم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وهو ممن تحرم عليه الصدقة من ذوي القربى الذين لهم سهم مفروض في الخمس وهم بنو هاشم وبنو المطلب².

وأما أمه فهي أزدية وليست قرشية كما تقول بعض الروايات وفي هذا يقول النووي: «الشافعي قريشي مطلبى بإجماع أهل النقل من جميع الطوائف وأمّه أزدية وقد تظاهرت الأحاديث الصحيحة في فضائل قريش وانعقد إجماع الأمة على تفضيلهم على جميع قبائل العرب وغيرهم»³.

¹ تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين، السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو، (مصر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٣هـ)، ٧١/٢.

² أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، ابن كثير، طبقات الشافعيين، تحقيق: د أحمد عمر هاشم، د محمد زينهم محمد عزب، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م)، ١/١.

³ محي الدين يحيى بن شرف، النووي، المجموع شرح المهذب، (القاهرة: إدارة الطباعة المنيرية، مطبعة التضامن الأخوي، ١٣٤٤ - ١٣٤٧هـ)، ٧/١.

وقد كان يكنى بأبي عبد الله، فقد أخرج الحاكم من طريق الميموني أنه سمع أحمد بن حنبل يقول لأبي عثمان بن الشافعي: «إني احبك لثلاث خلال: لأنك رجل من قريش، ولأنك ابن أبي عبد الله، ولأنك من أهل السنة»^٤.
وأما لقبه فقد كان يلقب بناصر الحديث كما قال عن نفسه: «سميت بمكة بناصر الحديث»^٥.

قال إسحاق بن راهويه: قال لي أحمد بن حنبل بمكة: تعال حتى أريك رجلاً لم تر عينك مثله فأقامني على الشافعي وقال أبو ثور: ما رأيت مثل الشافعي ولا رأى هو مثل نفسه وقال حرملة: سمعت الشافعي يقول: سميت ببغداد ناصر الحديث^٥.

● مولده ونشأته: ولد الإمام الكبير محمد بن إدريس الشافعي في غزة سنة ١٥٠ للهجرة وقد ذكر ابن كثير في طبقات الشافعيين أنه ولد بغزة ويحتمل أنها بعسقلان التي هي قريب من غزة ثم حمل إلى مكة صغيراً، ثم انتقلت به أمه إلى اليمن، فلما ترعرع، وقرأ القرآن بعثت به إلى بلد قبيلته مكة فطلب بها

^٤ ابن حجر، توالي التأسيس لمعالي محمد بن إدريس، ص ٤٠.

^٥ المصدر السابق.

^٥ محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، الذهبي، تذكرة الحفاظ، (لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م)، ١/ ٢٦٥.

الفقه، والله أعلم⁷. وفي روايات قيل إنه ولد في عسقلان وروايات تقول إنه ولد في اليمن وبالجمع بين جميع هذه الروايات يقول الإمام ابن حجر العسقلاني رحمه الله: «والذي يجمع بين الأقوال: أنه ولد بغزة عسقلان، لأن عسقلان هي الأصل في قديم الزمان، وهي وغزة متقاربتان، وعسقلان هي المدينة. ولما بلغ سنتين حوّلته أمّه إلى الحجاز ودخلت به إلى قومها، وهم من أهل اليمن لأنها كانت أزدية، فنزلت عندهم، فلما بلغ عشرًا خافت على نسبه الشريف أن يُنسى ويضيع فحوّلته إلى مكة»⁸.

وبالنسبة لمولده فقد اتفقت جميع الروايات أنه ولد سنة خمسين ومائة من الهجرة، السنة التي توفي فيها الإمام أبو حنيفة النعمان رحمه الله⁹. قال الحاكم: ولا أعلم خلافًا أنه ولد سنة خمسين ومائة للهجرة، وهو العام الذي مات فيه أبو حنيفة النعمان وفيه إشارة إلى أنه يخلفه في فنه¹⁰.

⁷ أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، ابن كثير، طبقات الشافعيين، تحقيق: د أحمد عمر هاشم، د محمد زينهم محمد عزب، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م)، ١ / ١.

⁸ أحمد بن علي بن محمد بن أحمد العسقلاني، ابن حجر، توالي التأسيس لمعالي محمد بن إدريس، (لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م)، ص ٥٢.

⁹ أبو بكر أحمد بن حسين، البيهقي، مناقب الشافعي، المحقق: السيد احمد صقر (مصر: مكتبة دار التراث، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م)، ١ / ٧١، النووي، المجموع شرح المذهب، ١ / ٨.

وقد نشأ الإمام الشافعي يتيماً في حجر أمه في قلة من العيش وضيق حال وكان في صباه يجالس العلماء ويكتب ما يستفيدة في العظام ونحوها حتى ملأ منها خبايا وهذا قول الربيع بن سليمان¹¹.

وكان عمره سبع سنوات عندما حفظ القرآن الكريم وعشر سنوات حفظ الموطأ للإمام مالك رحمه الله، وهذا يدل على قوة حفظه وسعة صدره، قال الشافعي: «حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين وحفظت الموطأ وأنا ابن عشر سنين»¹².

ثم أقبل على الرمي فكان يصيب من العشرة تسعة كما وصف نفسه، فقال: «كنت أصيب من العشرة تسعة»¹³.

قال الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد: أخبرنا أبو سعد إسماعيل بن علي بن الحسن بن بندار الإستراباذي ببيت المقدس، قال: أخبرنا أبو الحسن علي بن

¹⁰ أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني ابو الفضل، شهاب الدين، ابن حجر، توالي التأسيس لمعالي محمد بن إدريس، تحقيق: عبد الله القاضي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م)، ص ٥٢

¹¹ النووي، المجموع شرح المذهب، ١/٨.

¹² ابن كثير، طبقات الشافعيين، ١/١، ابن حجر، توالي التأسيس، ص ٥٤.

¹³ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، المحقق: د بشار عواد معروف، (لبنان: دار الغرب الاسلامي، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م)، ٣٩٢/٢.

محمد الطيني بإستراياد، قال: حدثنا أبو نعيم عبد الملك بن محمد، قال: حدثنا الربيع، قال: سمعت الشافعي، يقول: كنت ألزم الرمي حتى كان الطيب يقول لي: أخاف أن يصيبك السل من كثرة وقوفك في الحر¹⁴.

المطلب الثاني: نشأته العلمية

عاش الإمام يتيماً في حجر أمه، ونشأ على العلم منذ نعومة أظفاره، فقد حفظ القرآن الكريم وله سبع سنوات، وحفظ المؤطا وله عشر، وهذا يدل على أنه كان محباً للعلم، ويمتلك ذكاء وقوة في الحفظ، قال حفظت القرآن وأنا ابن سبع، وحفظت المؤطا وأنا ابن عشر¹⁵، كان كثير المناقب، جم المفاخر، ليس له نظير، يجالس العلماء ويسمع الحديث فيحفظه عن ظهر قلب، ومن ثم يكتب ما سمعه على الجلود والعظام وذلك لعجزه عن شراء الورق. فكان يقول: «طلبت هذا الأمر عن خفة ذات اليد، كنت اجالس العلماء واتحفظ، ثم اشتهيت أن ادون، وكان منزلنا بمكة قرب شعب الخيف، فكنت آخذ العظام والاكثاف فاكتب فيها، حتى امتلأ في دارنا من ذلك حبان»¹⁶. وروي عنه أيضاً أنه قال: «كنت يتيماً في حجر أمي، ولم يكن معها ما تعطي للمعلم، وكان المعلم قد رضي من أمي أن أخلفه إذا قام، فلما ختمت القرآن

¹⁴ المصدر السابق.

¹⁵ ابن حجر، توالي التأسيس، ص ٤٤.

¹⁶ ابن كثير، طبقات الشافعيين، ١ / ١، ابن أبي حاتم، آداب الشافعي ومناقبه، ص ٢١.

دخلت المسجد، وكنت اجالس العلماء فاحفظ الحديث أو المسألة، وكان منزلنا بمكة قرب شعب الخيف، فكنت أنظر إلى العظم فأكتب فيه الحديث أو المسألة، وكانت لنا جرة عظيمة، إذا امتلأ العظم طرحته في الجرة»¹⁷. إضافة إلى أنه حفظ القرآن والحديث فقد اتجه إلى تعلم فنون أخرى، فخرج إلى البادية يريد تعلم الفصاحة العربية فأتجه إلى قبيلة هذيل وبقي عندهم مدة من الزمان، فتعلم كلامهم وأخذ من طبعهم وحفظ أخبارهم وأشعارهم حتى قال فيه الاصمعي: «صححت أشعار هذيل على فتى من قريش يقال له محمد بن إدريس»¹⁸.

وقال أبو بكر الخطيب: أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن عبد الله الطبري، ثنا أحمد بن عبد الله بن الخضر المعدل، ثنا علي بن محمد بن سعيد، ثنا أحمد بن إبراهيم الطائي الأقطع، ثنا إسماعيل بن يحيى المزني، قال: سمعت الشافعي، رضي الله عنه، يقول: حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين وحفظت الموطأ وأنا ابن عشر سنين، ثم روى الخطيب عن الشافعي، رضي الله عنه، أنه قال: أقيمت في بطون العرب عشرين سنة أخذ أشعارها ولغاتها، وحفظت القرآن، فما علمت أنه مر بي حرف إلا وقد علمت المعنى فيه والمراد، ما خلا حرفين

¹⁷ ابن حجر، توالي التأسيس، ص ٥٤.

¹⁸ محمد ابو زهرة، الشافعي حياته وعصره آراؤه الفقهية، (القاهرة: دار الفكر العربي،

٢٠٠٨م)، ص ١٨-١٩

أحدهما دساها والآخر نسيه الراوي عنه، قلت: فهذه هممة عالية ممن يحفظ الكتاب¹⁹.

ثم أتجه إلى الفقه فقيل أن أخذه للفقه أنه كان يسير يوماً على دابة له، وخلفه كاتبٌ لأبي، فتمثل الشافعي رضي الله عنه بيت شعر، فقرعه كاتبٌ أبي بسوطه ثم قال له: «مثلك يذهب بمروءته في مثل هذا، أين أنت من الفقه؟»، فهزه ذلك، فقصد لمجالسة الزنجي بن خالد مفتي مكة، ثم قدم علينا فلزم مالك بن أنس رحمه الله²⁰، وقرأ عليه الموطأ حفظاً، فقال له مالك: «اتق الله، فإنه سيكون لك شأن»، وفي رواية أخرى أنه قال له: «إن الله تعالى قد ألقى على قلبك نوراً فلا تطفئه بالمعصية»²¹.

وحدث الربيع بن سليمان قال: كان الشافعي رحمه الله يجلس في حلقتة إذا صلى الصبح فيجيئه أهل القرآن، فإذا طلعت الشمس قاموا وجاء أهل الحديث فيسألونه تفسيره ومعانيه، فإذا ارتفعت الشمس قاموا فاستوت الحلقة للمذاكرة والنظر، فإذا ارتفع الضحى تفرقوا وجاء أهل العربية والعروض

¹⁹ ابن كثير، طبقات الشافعيين، ١ / ١.

²⁰ ابن حجر، توالي التأسيس، ص ٥٥، ابن كثير، طبقات الشافعيين، ١ / ١.

²¹ يحيى بن شرف، النووي، تهذيب الأسماء واللغات، (لبنان: دار الكتب العلمية، د.ت.) ٥٨ / ١ بتصرف.

والنحو والشعر فلا يزالون إلى قرب انتصاف النهار ثم ينصرف رضي الله عنه²².

وكان رحمه الله واسع الفهم شغوفاً بالعلم، كان العلم همه وصنعتة وشغله الشاغل، ألف العديد من المؤلفات، واعترف به العلماء أجمعون، وعظمت عند الخلائق وولادة الأمور مرتبته، واستقرت عندهم جلالته وإمامته، وقصده الناس من جميع الأقطار والبلدان للتعلم منه وأخذ الرواية عنه، وامتحن في مواطن كثيرة مما لا يحصى من المسائل، فكان جوابه فيها من الصواب والسداد بالمحل الأعلى والمقام الأسنى، عكف عليه للاستفادة منه الصغار والكبار، والأئمة الأخيار من أهل الحديث والفقهاء وغيرهم، ورجع كثير منهم عن مذاهب كانوا عليها إلى مذهبه، وتمسكوا بطريقته كأبي ثور وخلائق من الأئمة، وترك كثير منهم الأخذ عن شيوخهم وكبار الأئمة لانقطاعهم إلى الشافعي حين رأوا عنده ما لا يجدون عند غيره، وبارك الله الكريم له ولهم في تلك العلوم الباهرة والمحاسن المتظاهرة والخيرات المتكاثرة، والله الحمد على ذلك وعلى سائر نعمه التي لا تحصى²³.

المطلب الثالث: شيوخه.

²² شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي، الحموي، معجم الأدباء، المحقق: إحسان عباس، (لبنان: دار الغرب الاسلامي، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م)، ٥ / ٢٤٠٥.

²³ النووي، تهذيب الأسماء واللغات، ٤٨ / ١ بتصرف.

من المعلوم أن إماماً كبيراً كالشافعي قد تلقى علمه من شيوخ والعلماء كبار في عصره، شيوخ من جميع الأقطار الإسلامية وبلدانها، حتى كان بعضهم معتزلياً الذين كانوا يشتغلون بعلم الكلام، فنال منهم ما رآه خيراً، فأخذ ما يراه واجب الأخذ، وترك ما يراه واجب الترك، وشيوخه الذين روى عنهم كثيرون، منهم من كان في مكة، ومنهم في المدينة، ومنهم في العراق، ومنهم في اليمن. يقول الرازي: «أن مشايخه الذين روى عنهم كثر، ونحن نذكر المشهورين منهم، والذين كانوا من أهل الفقه والفتوى والعلم، رأيت في كتاب والدي الإمام ضياء الدين عمر بن الحسين الرازي أنهم تسعة عشر، خمسة مكية، وستة مدنية، وأربعة عراقية»²⁴.

أما أهل مكة فهم: سفيان بن عيينة، ومسلم بن خالد الزنجي، وسعيد بن سالم القداح، وداود بن عبد الرحمن العطار، وعبد المجيد بن عبد العزيز بن داود²⁵. وأما أهل مدينة فهم: فمالك بن أنس، وإبراهيم بن سعد الأنصاري، وعبد العزيز بن محمد الداروردي، وإبراهيم بن أبي يحيى الاسلمي، ومحمد بن إسماعيل بن أبي فديك، وعبد الله بن نافع الصايغ²⁶.

²⁴ محمد بن عمر بن الحسين، فخر الدين الرازي، مناقب الإمام الشافعي، (مصر: مكتبة الكليات الأزهرية، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م)، ص ٤٣-٤٤. بتصرف.

²⁵ المصدر السابق.

²⁶ المصدر السابق.

وأما أهل العراق فهم: فوكيع بن الجراح، وأبو اسامة، وحماد بن أسامة الكوفيان، وإسماعيل بن عليّة، وعبد الوهاب بن عبد المجيد البصريان²⁷.
وأما من أهل اليمن فهم: فمطرف بن مازن، وهشام بن يوسف، وعمرو بن أبي سلمة -صاحب الأوزاعي-، ويحيى بن حسان -صاحب الليث بن سعد-²⁸.
وذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني شيوخه مرتبين على حروف المعجم، وذكر منهم تسعة وسبعين شيخاً²⁹، وقد ذكرهم المزي أربعاً وثلاثين رجلاً³⁰.
المطلب الرابع: تلاميذه.

للإمام الشافعي تلاميذ كثر من جميع الأقطار والبلدان تلقوا على يديه الفقه وأصوله وعلوم اللغة العربية والشعر، وأخذوا عنه رواية الحديث، وتعلموا أصول الدين عددهم كثر كما أسلفنا ولكني سأقتصر على الأبرز منهم:
١- إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان أبو ثور الكلبي البغدادي³¹.

²⁷ المصدر السابق.

²⁸ المصدر السابق.

²⁹ ابن حجر، توالي التأسيس لمعالي محمد بن إدريس، ص ٦٢-٧٣.

³⁰ يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المحقق:

دبشار عواد معروف، (لبنان: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م)، ٣٥٦-٣٥٧.

³¹ تقي الدين ابن قاضي، شعبة، طبقات الشافعية، (لبنان: عالم الكتب، ١٤٠٧هـ)،

٥٦-٥٥/١.

٢- أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الذهلي وهو أحد الأئمة الأربعة³².

٣- الربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن كامل المرادي، قال فيه الشافعي: «الربيع روايتي»، وقيل إنه آخر من روى عن الشافعي بمصر³³.

٤- يوسف بن يحيى القرشي أبو يعقوب البويطي المصري، قال فيه الشافعي: «ليس أحد أحق بمجلسي من أبي يعقوب، وليس أحد من أصحابي أعلم منه»³⁴.

٥- اسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن عمرو بن إسحاق، أبو إبراهيم المزني المصري، قال فيه الشافعي: «المزني ناصر مذهبي»³⁵.

المطلب الخامس: ثناء العلماء عليه.

العالم الجليل وناصر الحديث الإمام محمد بن إدريس الشافعي له الفضل الكبير على الأمة الإسلامية جمعاء، وذلك بحرصه على العلم الديني وعلى أهله، مما جعله محل اعجاب وتقدير عند شيوخه وتلاميذه، والناس أجمعين.

³² ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ١/ ٥٦-٥٨.

³³ ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ١/ ٦٥-٦٦.

³⁴ ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ١/ ٧٠-٧٢.

³⁵ المصدر السابق، ١/ ٥٨.

والناظر في ثناء العلماء عليه ووصفه، يجد زخماً كبيراً من الثناء والاطراء، فيجد الباحث نفسه محتاراً ما ينتقي من هذه الأقوال، وأنا سأختار شيئاً يسيراً من هذه الأقوال وذلك خشية الإطالة.

١- قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: «كان الشافعي كالشمس للدنيا، وكالعافية للبدن، هل لهذين من خلف، أو عنهما من عوض»³⁶.

٢- قال مالك بن أنس: «ما يأتي قرشي أفهم من هذا الفتى، يعني الشافعي»³⁷.

٣- وقال أبو ثور: كتب عبد الرحمن بن مهدي إلى الشافعي رضي الله عنه وهو شاب أن يضع له كتاباً فيه معاني القرآن، ويجمع قبول الأخبار فيه، وحجة الإجماع، وبيان النسخ المنسوخ من القرآن والسنة، فوضع له كتاب الرسالة، قال عبد الرحمن: «ما أصلي صلاة إلا وأنا أدعو الله للشافعي فيها»³⁸.

٤- قال البويطي: «قد رأيت الناس، والله ما رأيت أحداً يشبه الشافعي، ولا يقاربه في صنف من العلم، والله إن الشافعي كان أروع من كل من رأيت يُنسب إلى الورع»³⁹.

٥- قال الزعفراني: «كان أصحاب الحديث رقوداً، حتى أيقظهم الشافعي»⁴⁰.

³⁶ أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر، ابن خلكان، وفيات الأعيان، المحقق: إحسان عباس، (لبنان: دار الصادر، ١٩٧١م)، ٤ / ١٦٤.

³⁷ النووي، تهذيب الأسماء واللغات، ١ / ٦٢.

³⁸ ابن كثير، طبقات الشافعيين، ١ / ١.

³⁹ النووي، تهذيب الأسماء واللغات، ١ / ٦٢.

المطلب السادس: كتابه الرسالة وجهوده العلمية الأخرى.

يعتبر كتاب الرسالة أول كتاب في فن أصول الفقه، وهو من أنفس ما كتب في هذا الفن، حتى قال فخر الدين الرازي فيه: «اعلم أن نسبة الشافعي إلى علم الأصول كنسبة أرسطو إلى علم المنطق، وكنسبة الخليل بن أحمد إلى علم العروض»⁴¹.

قال الشيخ أحمد شاكر: أيما كان فقد ذهب الرسالة القديمة، وليس في أيدي الناس الآن إلا الرسالة الجديدة، وهي هذا الكتاب والظاهر عندي أنه أعاد تأليف كتاب الرسالة بعد تأليفه أكثر كتبه التي في الأم لأنه يشير كثيراً في الرسالة إلى مواضع مما كتب هناك، والراجع أنه أملي كتاب الرسالة على الربيع إملاء⁴².

وقد حوى كتاب الرسالة إضافة لعلوم الأصول علوم القرآن أيضاً. تقول الدكتورة إسراء محمود عيد: "برع رحمه الله في علوم القرآن فألّف كتاب (الرسالة) وهو كتاب قلّ مثيله، وقد طلب عبد الرحمن بن مهدي إلى الشافعي

⁴⁰ أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي، الخطيب البغدادي، الاحتجاج بالشافعي، المحقق: خليل إبراهيم ملا خاطر، (باكستان: المكتبة الأثرية، د.ت.)، ص ٣٠، ابن حجر العسقلاني، توالي التأسيس لمعالي محمد بن إدريس، ص ٩٣.

⁴¹ مناع بن خليل، القطان، تاريخ التشريع الإسلامي، (مصر: مكتبة وهبة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م)، ص ٣٦٩.

⁴² مناع القطان، تاريخ التشريع الإسلامي، ص ٣٧٠.

وهو شاب أن يضع له كتابًا فيه معاني القرآن ويجمع قبول الأخبار فيه، وحجة الإجماع، وبيان الناسخ والمنسوخ من القرآن والسنة، فوضع له كتاب (الرسالة)⁴³.

والشافعي لم يسم الرسالة بهذا الاسم، إنما يسميها الكتاب، أو يقول: كتابي أو كتابنا ويظهر أنه سميت الرسالة في عصره بسبب إرساله إياها لعبد الرحمن بن مهدي، وقد غلبت عليها هذه التسمية، وكتاب الرسالة هو أول كتاب ألف في أصول الفقه بل هو أول كتاب ألف في أصول الحديث⁴⁴. والكتاب له ثلاث أجزاء وكل جزء ينقسم إلى أبواب، وأما الجزء الأول فيحتوي على خمسة عشر بابًا، والجزء الثاني على ثلاث أبواب، والجزء الثالث يحتوي على أربع أبواب.

كما أقبل على التفسير وسطع فيه نجمه قال رحمه الله: "أقمت في بطون العرب عشرين سنة أخذ أشعارها ولغاتها، وحفظت القرآن، فما علمت أنه مر بي حرف إلا وقد علمت المعنى فيه والمراد ما خلا حرفين. حفظت أحدهما ونسيت الآخر، أحدهما (دساها)"، وله تفسير خاص به".

⁴³ إسراء محمود عيد، "الترابط بين علمي الحديث الشريف والقراءات القرآنية (دراسة تأصيلية)"، Hadis Tetkikleri Dergisi، 2/18، (ديسمبر 2020)، 75-96.

⁴⁴ مناع القطان، تاريخ التشريع الإسلامي، ص 370.

وللإمام الشافعي كتب ومصنفات كثيرة، ولكن أغلب هذه الكتب مفقودة، فكما جاء في مقدمة الرسالة أنه ألف كتباً كثيرة، بعضها كتبه بنفسه وقرأه على الناس أو قرؤه عليه، وبعضها أملاه إملاء، وإحصاء هذه الكتب عسير، وقد فقد كثير منها⁴⁵.

ومن المشهورين بكثرة التصنيف إمامنا الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، والإمام أبو الحسن الأشعري رضي الله تعالى عنهما، وقد عدد الإمام أبو بكر البيهقي - رحمه الله تعالى - مصنفات الشافعي⁴⁶. وأهم الكتب التي وصلنا هي: كتاب الرسالة، وكتاب الأم، وكتاب اختلاف الحديث، وكتاب جماع العلم، كتاب إبطال الاستحسان، وكتاب أحكام القرآن⁴⁷.

المطلب السابع: محنته ووفاته.

كان الإمام الشافعي مريضاً بمرض يسمى "البواسير"، وكان عليلاً شديداً العلة، حتى قال عنه تلميذه الربيع بن سليمان في آخر حياته: «أقام الشافعي ها هنا يقصد في مصر أربع سنين، فأملى ألفاً وخمسمئة ورقة، وخرّج كتاب الأم ألفي ورقة، وكتاب السنن، وأشياء كثيرة كلها في مدة أربع سنين، وكان عليلاً شديداً العلة، وربما خرج الدم وهو راكب حتى تمتلئ سراويله وخفه يعني من

⁴⁵ أنظر: مقدمة الرسالة للشافعي، ص ٩.

⁴⁶ يحيى بن شرف، النووي، بستان العارفين، (مصر: دار الريان للتراث، د.ت.)، ص ٧٩.

⁴⁷ البيهقي، مناقب الشافعي، ١/ ٢٤٦.

البواسير». وقال الربيع أيضاً: دخل المزنيّ على الشافعي في مرضه الذي مات فيه فقال له: «كيف أصبحت يا أستاذ؟»، فقال: «أصبحت من الدنيا راحلاً، ولإخواني مفارقاً، ولكأس المنية شارباً، وعلى الله وارداً، ولسوء عملي ملاقياً»⁴⁸.

وقال ابن ابي حاتم: أخبرنا عبد الرحمن، قال: قال الربيع بن سليمان: «توفي الشافعي ليلة الجمعة، بعد العشاء الآخرة بعد ما صلى المغرب آخر يوم من رجب، ودفناه يوم الجمعة، فانصرفنا، فرأينا هلال شعبان، سنة أربع ومائتين»⁴⁹.

ومات الشافعي، في آخر ليلة من رجب سنة 204 هـ، وقد بلغ من العمر أربعة وخمسين عاماً⁵⁰.

المبحث الثاني: علل الحديث في كتاب الرسالة.

المطلب الأول: تعريف علل الحديث لغةً واصطلاحاً:

١ - علل الحديث لغةً: هو المرض، وصاحبها معتل⁵¹.

⁴⁸ ابن حجر، توالي التأسيس، ص ١٧٧-١٧٨.

⁴⁹ عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي، ابن أبي حاتم، آداب الشافعي ومناقبه، (لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م)، ص ٥٦.

⁵⁰ ابن حجر، توالي التأسيس، ص ١٧٩.

⁵¹ محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي، لسان العرب، (لبنان: دار صادر، ١٤١٤هـ)، ١١ / ٤٧١، مجد الدين أبو طاهر محمد بن

٢- علل الحديث اصطلاحاً: هي عبارة عن أسباب خفية غامضة قادحة فيه. والحديث المعلل: هو الحديث الذي اطلع فيه على علةٍ تقدح في صحته مع أن الظاهر السلامة منها⁵².

المطلب الثاني: أهمية علم العلل.

إن علم علل الحديث هو من أجل علوم الحديث شرفاً، وأعظمها فخراً، وأرفعها قدراً، وأهمها في بيان دقة الحديث صحة ونفعاً، لأن بمعرفة علل الحديث يُعرف كلام النبي ﷺ من كلام غيره، ويميز الصحيح من السقيم، والصواب من الخطأ، ويعتبر من أشد الفنون خفاءً وغموضاً، ولا يدركه إلا الجهابذة الذين رزقوا سعة الرواية، ودقة النظر والفهم.

قال الخطيب البغدادي رحمه الله: «معرفة علل الحديث أجل أنواع علوم الحديث»⁵³.

يعقوب، الفيروز آبادي، قاموس المحيط، المحقق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، (لبنان: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م)، ١/ ١٠٣٥.

⁵² عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري، أبو عمرو تقي الدين المعروف بابن الصلاح، معرفة أنواع علوم الحديث، المحقق: نور الدين عتر، (سوريا: دار الفكر، بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م)، ص ٩٠.

⁵³ الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، (السعودية: مكتبة المعارف، ١٤٠٣هـ)، ٢/ ٢٩٤.

وقال ابن حجر: «وهذا الفن أغمض أنواع الحديث وأدقها مسلكاً، ولا يقوم به إلا من منحه الله تعالى فهماً غايضاً واطلاعاً حاويًا، وإدراكاً لمراتب الرواة ومعرفة ثاقبة، ولهذا لم يتكلم فيه إلا أفراد أئمة هذا الشأن وحذاقهم، وإليهم المرجع في ذلك، لما جعل الله فيهم من معرفة ذلك، والاطلاع على غوامضه دون غيرهم ممن لم يمارس ذلك»⁵⁴.

المطلب الثالث: أقسام الحديث المعلن.

ينقسم الحديث المعلن بحسب موقع العلة إلى معلن في السند، ومعلن في المتن، ومعلن في السند والمعلن.

وقد اقتصر الإمام الشافعي على العلل التي قد تصيب المتن، وتحدث عنها بشكل مفصل، حيث تكلم عن موضوع اعلال المتن بمخالفته للقرآن، واعلال المتن بمخالفته للسنة النبوية، واعلال متن الحديث بالنسخ، بينما لم يتحدث بالتفصيل عن العلة في السند بل جعلها مفردة في رسالته، ولم يصفها بأنها علل الحديث من ذلك: الإعلال بالتفرد، والإعلال بالمخالفة، والإعلال بالاختلاط، والإعلال بالغلط، والإعلال بالانقطاع، والإعلال بالجهالة، والإعلال بالتدليس.

⁵⁴ ابن حجر العسقلاني، نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر، (السعودية: مكتبة السفير، ١٤٢٢هـ)، ص ١١٣.

يقول الدكتور أيمن الدوري: "خاض الإمام الشافعي رحمه الله في علم العلل وهو علم من أدق علوم الحديث الشريف ومن أصعبها ولا يخوضه إلا الجهابذة من المحدثين... كما حوت مُصنَّفاته كذلك الاهتمام بالألفاظ واختلافاتها بين الرواة، وبيان الألفاظ الزائدة ومن زادها... وبذلك يظهر تَصَلُّعُ الإمام الشافعي رحمه الله في علم هذا الفن ومدى دقته في الصُّنعة الحديثية"⁵⁵.

المطلب الرابع: السنة من حيث موافقتها للقرآن ومخالفتها له.

من المعلوم أن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة كلٌّ من عند الله، فلا يمكن بأي حال أن يكون أحدهما مخالفاً للآخر، لأنهما أصلاً لا يفترقان، وعليهما يعتمد الدين الحنيف في مناهجه وارشاده، والقرآن الكريم هو الأصل الذي يستند إليه السنة، فلا يمكن أن نجد سنةً ثابتةً عن النبي ﷺ تخالف الكتاب، وأن حصلت مخالفة للكتاب فلا بد من أمرين:

١- أن يكون الحديث غير ثابت.

٢- أن يكون فهمنا للحديث خاطئاً، لأنه لا تعارض بين سنة ثابتة وبين القرآن.

وهذا ما قرره الشافعي في مواطن كثيرة في كتابه وأوضح ما قاله فيما يلي:

⁵⁵ أيمن جاسم محمد الدوري، جهود الإمام الشافعي في خدمة السنة النبوية وعلوم الحديث، مجلة كلية التربية للبنات، العدد 11، الجزء 1، 2019م، 141-143.

قال الشافعي: «كل ما سن رسول الله مع كتاب الله من سنة فهي موافقة كتاب الله في النص بمثله، وفي الجملة بالتبيين عن الله، والتبيين يكون أكثر تفسيراً من الجملة، وما سن مما ليس فيه نص كتاب الله بفرض الله طاعته عامة في أمره تبعناه»⁵⁶.

بين الإمام الشافعي العلاقة القوية بين القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فقال هما مصدران تشريعيان ولا يمكن أن يختلفان في أي حال من الأحوال، ولا يمكن أن تكون السنة مخالفة للكتاب ولا مناقضة لما نص عليه محكماً لا نسخ فيه.

ومن خلال دراستي لكتاب الرسالة، باب العلل في الحديث، وجدت أن الإمام رحمه الله قد قسم سنن رسول الله مع القرآن الكريم إلى قسمين في بادئ الأمر.

فقال: «وسنن رسول الله مع كتاب الله وجهان: أحدهما: نص كتاب، فاتبعه رسول الله كما أنزل الله، والآخر: جملة، بين رسول الله فيه عن الله معنى ما أراد بالجملة، وأوضح كيف فرضها عاماً أو خاصاً، وكيف أراد أن يأتي به العباد، وكلاهما اتبع فيه كتاب الله»⁵⁷.

⁵⁶ محمد بن إدريس الشافعي، الرسالة، المحقق: أحمد محمد شاكر، (مصر: مكتبة الحلبي، 1358هـ / 1940م)، ص 210.

⁵⁷ المصدر السابق. ص 90.

ثم بعد ذلك عاد وقسم سنن الرسول بالنسبة لمخالفتها للقرآن الكريم إلى ثلاث أقسام فقال: «ما سنّ رسول الله فيما ليس فيه نص كتاب»⁵⁸.
فإني لا أرى أنه بإضافته لهذا القسم أي تناقض في كلامه، لأنه عندما قال إن السنة وجهان فقد كان قصده من ذلك هو الوجوه المجمع عليها والمتفق عليها، والذي يؤكد كلامي هو قوله عندما قال: «فلم أعلم من أهل العلم مخالفا في أن سنن النبي من ثلاثة وجوه، فاجتمعوا منها على وجهين»⁵⁹.
والوجهان يجتمعان ويتفرعان: أحدهما: ما أنزل الله فيه نص كتاب، فبين رسول الله مثل ما نص الكتاب، والآخر: مما أنزل الله فيه جملة كتاب، فبين عن الله معنى ما أراد؛ وهذان الوجهان اللذان لم يختلفوا فيهما.⁶⁰
أما بالنسبة لإضافته القسم الثالث فكان قصده بذلك الوجوه غير المجمع عليها، نفهم من كلامه أنه إذا أراد الإجمال قال ثلاثة، وإذا أراد الكلام عن المجمع عليها قال وجهان.
فهو يقول ويؤكد كلامي على أن العلماء لم يجمعوا على القسم الثالث فيقول: فمنهم من قال: جعل الله له، بما افترض من طاعته، وسبق في علمه من توفيقه لرضاه، أن يسن فيما ليس فيه نص كتاب⁶¹.

⁵⁸ المصدر السابق.

⁵⁹ المصدر السابق.

⁶⁰ المصدر السابق.

⁶¹ المصدر السابق.

ومنهم من قال: لم يسن سنة قط إلا ولها أصل في الكتاب، كما كانت سنته لتبيين عدد الصلاة وعملها، على أصل جملة فرض الصلاة، وكذلك ما سن من البيوع وغيرها من الشرائع، لأن الله قال: {لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل} النساء: ٢٩، وقال: {وأحل الله البيع وحرم الربا} البقرة: ٢٧٥، فما أحل وحرم فإنما بين فيه عن الله، كما بين الصلاة⁶².

وجد الإمام الشافعي أن القسم الثالث أنه غير مجمع عليه، فمنهم من قبل بهذا القول ومنهم من لم يقبل، لذلك عندما قال إن سنن النبي ﷺ مع القرآن وجهان لم يناقض نفسه لأنه أراد المجمع عليها فقط.

أولاً: موافقة السنة للقرآن الكريم: السنة النبوية وعلاقتها بالقرآن الكريم مؤكدة وموافقة كما قال الشافعي واجمع أهل العلم على ذلك، فما من حكم في القرآن الكريم إلا ونجد له مطابقاً في السنة النبوية وموافقاً له من جميع الوجوه من حيث البيان والشرح، والاختصار والاجمال، وقد خصص الإمام الشافعي عنواناً لهذا وسماه "جمل الفرائض".

قال الشافعي: «ما أنزل الله فيه نص كتاب، فبين رسول الله مثل ما نص الكتاب»⁶³.

⁶² المصدر السابق.

⁶³ المصدر السابق.

وقد ذكر الإمام أمثلة تطبيقية على موافقة السنة النبوية للقرآن الكريم، لكنه اختصر في ذلك واكتفى بالقليل منها.

وإني أرى أن السبب يعود في ذلك هو أن الأمثلة في هذا الموضوع كثيرة لا حصر لها، لأن أغلب السنة مؤكدة وموافقة لما جاء به القرآن الكريم، وسأذكر مثلاً على ذلك:

حديث: «بني الإسلام على خمس»⁶⁴، مع قوله تعالى: {وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة} النساء: ٤٣

وقوله تعالى {إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا} النساء: ١٠٣
وقوله تعالى: {ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا} آل عمران: ٩٧.

قال الشافعي: أحكم الله فرضه في كتابه في الصلاة والزكاة والحج، وبين كيف فرضه على لسان نبيه.

ثانياً: بيان السنة النبوية للقرآن الكريم: وقد أسهب الإمام في ذكر امثلة كثيرة في هذا الباب، لأن أغلب السنة من هذا النوع، حتى أنه أضاف أشياء في السنة ليس فيها شيء من القرآن.

⁶⁴ محمد بن إسماعيل، البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: «بني الإسلام على خمس»، برقم (٨)، (١/١١).

فقال: «البيان في الفرائض المنصوصة في كتاب الله من أحد هذه الوجوه....
ومنها ما بينه عن سنة نبيه صلى الله عليه وسلم بلا نص كتاب، وكل شيء منها
بيان في كتاب الله»⁶⁵.

وقد بين الإمام الشافعي في هذا الباب أنواع بيان السنة للقرآن وذكر لكل نوع
مثال أو مثالين، فقال: «ومنها: ما أتى على غاية البيان في فرضه وافترض طاعة
رسوله، فبين رسول الله عن الله كيف فرضه؟ وعلى من فرضه؟ ومتى يزول
بعضه ويثبت ويجب؟»⁶⁶.

وقال أيضاً: «ومنه: ما أحكم فرضه بكتابه، وبين كيف هو على لسان نبيه؟ مثل
عدد الصلاة، والزكاة، ووقتها، وغير ذلك من فرائضه التي أنزل من كتابه»⁶⁷.
وقال: «أن يكون كتاب الله ينزل عاما يراد به الخاص، وخصوصا يراد به العام،
وفرضا جملة بينه رسول الله، فقامت السنة مع كتاب الله هذا المقام: لم تكن
السنة لتخالف كتاب الله، ولا تكون السنة إلا تبعا لكتاب الله، بمثل تنزيله، أو
مبينة معنى ما أراد الله، فهي بكل حال متبعة كتاب الله»⁶⁸.

وكما قلنا إن الإمام الشافعي أسهب في هذا الموضوع وذكر أمثلة كثيرة، لأن
هذا النوع هو الغالب في السنة، سأذكر مثالا عنها للتوضيح وإزالة الإشكال:

⁶⁵ الشافعي، الرسالة، ص ٣٢-٣٣.

⁶⁶ المصدر السابق.

⁶⁷ الشافعي، الرسالة، ص ٢١.

⁶⁸ الشافعي، الرسالة، ص ٢٢٢.

• قال الله تعالى: {واللّائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللّائي لم يحضن وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا} الطلاق: ٤

فقال الشافعي: «فقال بعض أهل العلم: قد أوجب الله على المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشرا، وذكر أن أجل الحامل أن تضع، فإذا جمعت أن تكون حاملا متوفى عنها، أتت بالعدتين معا، كما أجدها في كل فرضين جعلنا عليها أتت بهما معا.»⁶⁹.

قال: فلما قال رسول الله "لسبيعة بنت الحرث"، ووضعت بعد وفاة زوجها بأيام: «قد حللت فتزوجي»⁷⁰، دل هذا على أن العدة في الوفاة والعدة في الطلاق بالأقراء والشهور، إنما أريد به من لا حمل به من النساء، وأن الحمل إذا كان فالعدة سواء ساقطة.

المطلب الخامس: تعريف علم مختلف الحديث عند الإمام الشافعي.

وقد عرّف الإمام الشافعي مختلف الحديث فقال: "ولا ينسب الحديثان إلى الاختلاف، ما كان لهما وجهاً يمضيان معاً، إنما المختلف ما لم يمضي إلا

⁶⁹ الشافعي، الرسالة، ص ١٩٩.

⁷⁰ أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المغازي، باب: والذي يتوفون منكم ويذرون أزواجاً.....، رقم الحديث (٤٥٣٢)، (٦/٣٠)، ومسلم في صحيحه: كتاب الطلاق، باب انقضاء عدة المتوفى عنها زوجها وغيرها بوضع الحمل، رقم الحديث (١٤٨٤)، (١١٢٢/٢).

بسقوط غيره، مثل أن يكون الحديثان في الشيء الواحد، هذا يحله وهذا يحرمه"⁷¹.

وقد عرفه بعض العلماء على نفس المعنى ونفس المراد الذي عرفه الإمام الشافعي، فعرفه الإمام النووي فقال: وهو أن يأتي حديثان متضادان في المعنى ظاهراً فيوفق بينهما أو يرجح أحدهما⁷².

وعرفه شيخ الإسلام ابن حجر فقال: هو الحديث المقبول المعارض بمثله، مع إمكان الجمع بينهما⁷³. أي هو الحديث الصحيح، أو الحسن الذي يجيء حديث آخر مثله في القوة والمرتبة، ويناقضه في المعنى ظاهراً، ويمكن لأولي العلم والفهم الثاقب أن يجمعوا بين مدلوليها بشكل مقبول.

وقد أطلق عليه البعض بأنه مشكل، ولكن هناك فرق كبير بين المختلف والمشكل، والفرق بين النوعين واضح وبيّن؛ فبينهما عموم وخصوص، والمشكل أعم من المختلف، سأبين ذلك فيما يلي:

ان مختلف الحديث يختص بالنظر في التعارض بين الأحاديث، أما مشكل الحديث فإنه يعم جميع أنواع التعارض التي يمكن أن توجد مما يعارض معنى من معاني الحديث الشريف ومفهومه مع ظاهر القرآن الكريم، أو الواقع،

⁷¹ الشافعي، الرسالة، ص ٣٤١.

⁷² النووي، التقريب والتيسير، (لبنان: دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م)، ص ٩٠.

⁷³ ابن حجر العسقلاني، نزهة النظر توضيح نخبة الفكر، ص ٣٩.

أو التاريخ، أو السنن الكونية، وقد يكون الحديث مشكلاً في ذاته من غير وجود معارض له، فيكون مشكل الحديث أعم من مختلف الحديث، فمشكل الحديث يتناول كل إشكال يطرأ على الحديث، وأما مختلف الحديث فهو خاص بالأحاديث التي يوهم ظاهرها الاختلاف فيما بينها وحسب.

المطلب السادس: أهمية علم مختلف الحديث ونشأته.

يعتبر من أصعب علوم الحديث وأهمها، فله أهمية كبيرة عند علماء الحديث والفقهاء، وتتمثل أهميته في إزالة الإشكال في فهم الحديث النبوي، فيفهم الراوي والمتلقي والسامع بفهم ما فيه، ويزيل التنازع بين الرواة، ولا يزيل هذا التنازع إلا بمعرفة مختلف الحديث، وما من عالم إلا بحاجة إليه ومضطر لمعرفته، ولذا فقد تنوعت عبارات الأئمة في بيان مكانة مختلف الحديث وعظيم منزلته.

قال ابن حزم الظاهري: «وهذا من أدق ما يمكن أن يعترض أهل العلم من تأليف النصوص وأغمضه وأصعبه»⁷⁴.

وقد حاز الإمام الشافعي قصب السبق في هذا العلم فكان أول من صنف في علم مختلف الحديث، وأول من أصل له تأصيلاً علمياً ونظرياً، ويظهر ذلك في كتابه الرسالة (باب العلل في الحديث)،

⁷⁴ علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، الظاهري، الإحكام في أصول الأحكام، (لبنان: دار

ولكن الشافعي لم يكتف بذلك فألف كتاباً في هذا الموضوع وسماه (اختلاف الحديث)، فكان بذلك أول من صنف في اختلاف الحديث نظرياً وتطبيقياً. قال النووي واصفاً كتاب

اختلاف الحديث: «لم يقصد رحمه الله استيفاء، بل ذكر جملة ينه بها على طريقه»⁷⁵.

وبالرغم من أن الشافعي هو أول من صنف في هذا الفن، إلا أن بعض الإشكالات بين بعض الأحاديث وقعت منذ عهد النبي ﷺ، ولقد سألوا عنها النبي ﷺ وكان يجيبهم ومنها:

أن عائشة رضي الله عنها كانت لا تسمع شيئاً لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه، وإن النبي ﷺ قال: من حوسب عذب. فقالت عائشة رضي الله عنها: أو ليس يقول الله {فسوف يحاسب حساباً يسيراً} الانشقاق: ٨، فقال النبي ﷺ: إنما ذلك العرض، ولكن من نوقش الحساب يهلك⁷⁶.

فقد استشكلت على عائشة رضي الله عنها هذا الاختلاف الظاهري بين الآية والحديث فسألت عنها.

⁷⁵ النووي، التقريب والتيسير، ص ٩٠.

⁷⁶ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب المراجعة في العلم، رقم الحديث (١٠٣).

ومن الأسباب التي دفعت الشافعي إلى تصنيف هذا العلم هي الحاجة إلى هذا العلم بسبب وقوع إشكال بين الناس في الأحاديث التي تبدو متعارضة في الظاهر، وكذلك تسمية بعض الناس أن هذه الأحاديث تعتبر نسخاً، لذلك سارع الإمام إلى بيان هذا الخطأ.

قال الدهلوي: «انه لم تكن قواعد الجمع بين المختلفات مضبوطة عندهم، فكان يتطرق بذلك خلل في مجتهداتهم، فوضع الشافعي لها أصولاً، ودونها في كتاب»⁷⁷.

المطلب السابع: موقف الإمام الشافعي من الأحاديث المختلفة.

من خلال دراستي لكتاب الرسالة وجدت أن الأصل عند الشافعي هو الجمع بين الحديثين الصحيحين المختلفين إن أمكن الجمع، بحيث يكون الاختلاف في الظاهر، ولا يتصور الاختلاف في الحقيقة إلا إذا تعذر الجمع والتوفيق. قال الشافعي: «ولا ينسب الحديثان إلى الاختلاف، ما كان لهما وجهاً يمضيان معاً، إنما المختلف ما لم يمضي إلا بسقوط غيره، مثل أن يكون الحديثان في الشيء الواحد، هذا يحله وهذا يحرمه»⁷⁸.

⁷⁷ أحمد بن عبد الرحيم بن الشهيد وجيه الدين بن معظم بن منصور، الدهلوي، حجة الله البالغة، (لبنان: دار الجيل، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م)، ١/ ٢٥٢.

⁷⁸ الشافعي، الرسالة، ص ٣٤١.

وقال أيضًا: «فَأَمَّا الْمُخْتَلِفَةُ الَّتِي لَا دِلَالَةَ عَلَى أَيِّهَا نَاسِخٌ وَلَا أَيُّهَا مَنسُوخٌ، فَكُلُّ أَمْرِهِ مُوْتَفِّقٌ صَحِيحٌ، لَا اخْتِلَافَ فِيهِ»⁷⁹.

ورأيت أن الشافعي أنكر ونفى وجود أي حديثين مختلفين اختلاف حقيقي، بحيث لا يمكن الجمع بينهما، ورأى هذه استدلت عليه من قوله رحمه الله: «وما لم يوجد فيه إلا الاختلاف: فلا يعدو أن يكون لم يحفظ متقصي، كما وصفت قبل هذا، فيعد مختلفا، ويغيب عنا من سبب تبيينه ما علمنا في غيره، أو وهما من محدث، ولم نجد عنه شيئا مختلفا فكشفناه: إلا وجدنا له وجهها يحتمل به ألا يكون مختلفا، وأن يكون داخلا في الوجوه التي وصفت لك، أو يكون على الأثبت منهما دلالة من كتاب الله أو سنة نبيه أو الشواهد التي وصفنا قبل هذا، فنصير إلى الذي هو أقوى وأولى أن يثبت بالدلائل، ولم نجد عنه حديثين مختلفين إلا ولهما مخرج أو على أحدهما دلالة بأحد ما وصفت: إما بموافقة كتاب أو غيره من سنته أو بعض الدلائل، وما نهى عنه رسول الله فهو على التحريم، حتى تأتي دلالة عنه على أنه أراد به غير التحريم»⁸⁰.

ومن خلال ما قاله الإمام رحمه الله وصلت إلى بعض النتائج أبين فيه موقف الإمام من الأحاديث المختلفة:

١- لا يوجد اختلاف حقيقي بين حديثين، لا يمكن الجمع بينهما.

⁷⁹ الشافعي، الرسالة، ص ٢١٣.

⁸⁰ الشافعي، الرسالة، ص ٢١٦.

٢- كل حديثين مختلفين إلا ولهما مخرج يزيل هذا الاختلاف.

٣- ما لم يحصل مما سبق فلا بد من دليل على قبول أحدهما دون الآخر، أو قبول الاثنين.

وقد أيد الإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة الإمام الشافعي في قضية نفي وجود حديثين مختلفين فقال: «لا أعرف أنه روي عن النبي ﷺ حديثان بإسنادين صحيحين متضادين، فمن كان عنده فليأت به حتى أولف بينهما»^{٥١}.

المطلب الثامن: منهج الإمام الشافعي في الجمع بين الأحاديث المختلفة اختلافا ظاهرياً.

اعتمد الإمام على عدة طرق جمع من خلالها الأحاديث المختلفة ووفق بينهم، بحيث كان يجعل بعضها عاما وبعضها خاصا، وبعضها مطلقاً ومقيداً... الخ،

وأيضاً كان يعتمد على الجمع بين الأحاديث المختلفة من خلال جعل بعضها ناسخاً والآخر منسوخاً، واعتمد على أن بعضهم اقوى وأولى أن يثبت بالدلائل.

هذا كان منهج الامام في التوفيق بين الأحاديث المختلفة اختلافا ظاهرياً، وكلامي هذا وصلت إليه من خلال دراستي للكتاب وتحليلي لمنهجه،

^{٥١} الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية، (السعودية: المكتبة العلمية، د.ت.)، ص

وسأذكر منهج الإمام في الجمع بين الأحاديث المختلفة بشكل نتائج مع الاستدلال بقوله وذكر مثال بعد النتائج:

١- أنه كان يجعل بعضها عاماً، وبعضها خاصاً، وبعضها مطلقاً، وبعضها مقيداً.

قوله: «فأما المختلفة التي لا دلالة على أيها ناسخ ولا أيها منسوخ، فكل أمره موافق صحيح، لا اختلاف فيه، ورسول الله عربي اللسان والدار، فقد يقول القول عاماً يريد به العام، وعاماً يريد به الخاص»⁸².

٢- جعل بعضها ناسخاً والآخر منسوخاً. قوله: «ويسن السنة ثم ينسخها بستته، ولم يدع أن يبين كلما نسخ من سنته بستته، ولكن ربما ذهب على الذي سمع من رسول الله بعض علم الناسخ أو علم المنسوخ، فحفظ أحدهما دون الذي سمع من رسول الله الآخر، وليس يذهب ذلك على عامتهم، حتى لا يكون فيهم موجوداً إذا طلب»⁸³.

٣- بحمل بعض الأوامر والنواهي على الاختيار.

قوله: «وما نهى عنه رسول الله فهو على التحريم، حتى تأتي دلالة عنه على أنه أراد به غير التحريم»⁸⁴.

⁸² الشافعي، الرسالة، ص ٢١٣.

⁸³ المصدر السابق.

⁸⁴ الشافعي، الرسالة، ص ٢١٦.

٤- يكون بعضها أشبه بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم أو القياس بكونها اثبت إسناداً.

قوله: «أو يكون على الأثبت منهما دلالة من كتاب الله أو سنة نبيه أو الشواهد التي وصفنا قبل هذا، فنصير إلى الذي هو أقوى وأولى أن يثبت بالدلائل»^{٥٥}.
وسأذكر مثلاً كيف جمع الإمام بين هذه الأحاديث المختلفة:

• الحديث الأول: ما رواه الإمام بسنده عن ابن عمر أن النبي ﷺ نهى عن بيع المزبنة^{٥٦}.

• الحديث الثاني: عن سعد بن أبي وقاص أنه سمع النبي ﷺ سئل عن شراء التمر بالرطب، فقال النبي ﷺ: أينقص الرطب إذا ييس؟ قالوا: نعم، فنهى عن ذلك^{٥٧}.

• الحديث الثالث: ما رواه بسنده أن النبي ﷺ رخص لصاحب العرية أن يبيعها بخرصها^{٥٨}.

^{٥٥} المصدر السابق.

^{٥٦} أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب تحريم بيع الرطب بالتمر إلا العرايا، رقم الحديث (١٥٤٢)، (٣/١١٧١).

^{٥٧} أخرجه أبو داود في سننه، كتاب البيوع، باب في التمر بالتمر، رقم الحديث (٣٣٥٩)، (٣/٢٥١).

^{٥٨} أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب بيع المزبنة، رقم الحديث (٢١٨٨)، (٣/٧٥).

قال الشافعي: فكان بيع الرطب بالتمر منهياً عنه، لنهي النبي، وبين رسول الله أنه إنما نهى عنه لأنه ينقص إذا يبس، وقد نهى عن التمر بالتمر إلا مثلاً بمثل، فلما نظر في المتعقب من نقصان الرطب إذا يبس، كان لا يكون أبداً مثلاً بمثل، إذ كان النقصان مغيباً لا يعرف، فكان يجمع معنيين: أحدهما التفاضل في المكيلة؛ والآخر المزابنة، وهي بيع ما يعرف كيله بما يجهل كيله من جنسه، فكان منهياً لمعنيين، فلما رخص رسول الله في بيع العرايا بالتمر كيلاً لم تعدوا العرايا أن تكون رخصة من شيء نهى عنه، أو لم يكن النهي عنه: عن المزابنة والرطب بالتمر: إلا مقصوداً بهما إلى غير العرايا، فيكون هذا من الكلام العام الذي يراد به الخاص.⁸⁹

المطلب التاسع: تعريف النسخ لغةً واصطلاحاً.

١- تعريف النسخ لغةً: إبطال الشيء وإقامة آخر مقامه.⁹⁰

٢- تعريف النسخ اصطلاحاً: رفع الشارع حكماً منه متقدماً بحكم منه متأخر.⁹¹

⁸⁹ الشافعي، الرسالة، ص ٣٣١.

⁹⁰ ابن منظور، لسان العرب، ٦١/٣.

⁹¹ ابن الصلاح، علوم الحديث، ص ٢٧٧.

● تعريف النسخ عند الإمام الشافعي: قال الشافعي: «وأما النسخة والمنسوخة من حديثه فهي كما نسخ الله الحكم في كتابه بالحكم غيره من كتابه عامة في أمره، وكذلك سنة رسول الله تنسخ بسنته».⁹²

وقال أيضاً: «ومعنى (نسخ): ترك فرضه: كان حقا في وقته، وتركه حقا إذا نسخه الله، فيكون من أدرك فرضه مطيعا به وبتركه، ومن لم يدرك فرضه مطيعا باتباع الفرض الناسخ له».⁹³

وأكد أن الناسخ والمنسوخ لا يتم إلا بوجود الناسخ والمنسوخ معاً، فقال: «وليس ينسخ فرض أبداً إلا أثبت مكانه فرض. كما نسخت قبلة بيت المقدس، فأثبت مكانها الكعبة، وكل منسوخ في كتاب وسنة هكذا».⁹⁴

نفهم من كلامه أن النسخ يراد به رفع الحكم الشرعي الأول كله مع اثبات حكم شرعي آخر، لا يمكن الجمع بينهما، فنعمل بالناسخ ونترك المنسوخ.

كما قال في اختلاف الحديث: «وما ينسب إلى الاختلاف من الأحاديث ناسخ ومنسوخ فيصير إلى الناسخ دون المنسوخ».⁹⁵

المطلب العاشر: أهمية علم الناسخ والمنسوخ في الحديث.

⁹² الشافعي، الرسالة، ص ٢١٠.

⁹³ الشافعي، الرسالة، ص ١٢٠.

⁹⁴ الشافعي، الرسالة، ص ١٠٨.

⁹⁵ الشافعي، اختلاف الحديث، (لبنان: دار المعرفة، ١٤١٠/١٩٩٠)، ص ٥٩٨.

يعتبر علم ناسخ الحديث ومنسوخه من أهم وأصعب علوم الحديث، فبه تلغى أحكام وتثبت أحكام أخرى، لذلك فإن معرفة الناسخ والمنسوخ أمر عظيم في فهم الإسلام، وفي الاهتداء إلى صحيح الأحكام، خصوصاً إذا ما وجدت أدلة متعارضة لا يندفع التناقض بينها إلا بمعرفة سابقها من لاحقها، وناسخها من منسوخها، لذلك اعتنى بها العلماء قديماً وحديثاً، فقد قال الزهري: «أعيا الفقهاء واعجزهم أن يعرفوا الناسخ من المنسوخ»⁹⁶.
ولا يتأهل لمعرفة إلا الأئمة الكبار الذين لهم علم بالروايات ومقدمها ومؤخرها⁹⁷.

وكان أول من كتب في هذا الفن هو الإمام الزهري، كما ذكر الحازمي فقال: «ألا ترى الزهري وهو أحد من انتهى إليه علم الصحابة رضي الله عنهم، وعليه مدار حديث الحجاز، وهو القائل: "لم يدون هذا العلم أحد قبلي"، وكان إليه المرجع في الحديث، وعليه المعول في الفتيا، كيف استعظم هذا الشأن مخبراً عن فقهاء الامصار⁹⁸».

ثم جاء بعده الإمام الشافعي فقد كانت له فيه يد طولى وسابقة أولى. رويناه عن محمد بن مسلم بن وارة، أحد أئمة الحديث، أن أحمد بن حنبل قال له وقد

⁹⁶ انظر: ابن الصلاح، علوم الحديث، ص 276-277.

⁹⁷ محمد بن موسى بن عثمان، الحازمي، الاعتبار في النسخ والمنسوخ من الآثار، (باكستان: دائرة المعارف العثمانية، 1359)، ص 4.

⁹⁸ الحازمي، الاعتبار في النسخ والمنسوخ من الآثار، ص 3.

قدم من مصر: «كتبت كتب الشافعي؟ فقال: لا. قال: فرطت، ما علمنا
المجمل من المفسر ولا ناسخ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من
منسوخه حتى جالسنا الشافعي»⁹⁹.

المطلب الحادي عشر: أدلة اثبات وقوع النسخ عند الشافعي وشروطه.

جاء في كتاب الرسالة اثبات وقوع النسخ وذلك عندما قال الشافعي: «وأبان الله
لهم أنه إنما نسخ ما نسخ من الكتاب بالكتاب، وأن السنة لا ناسخة للكتاب،
وإنما هي تبع للكتاب، يمثل ما نزل نصا، ومفسرة معنى ما أنزل الله منه
جملا»¹⁰⁰

وقد استدل على وقوعه ببعض الآيات كقوله تعالى: {إِذَا تُلِيٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا
بَيِّنَاتٍ ۖ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَقَاءَنَا بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ ۗ قُلْ مَا
يَكُونُ لِيٰ أَنْ أَبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي ۗ إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ۗ إِنِّي أَخَافُ إِنْ
عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} يونس: ١٥

فأخبر الله أنه فرض على نبيه اتباع ما يوحى إليه، ولم يجعل له تديله من تلقاء
نفسه¹⁰¹.

⁹⁹ ابن الصلاح، علوم الحديث، ص ٢٧٧.

¹⁰⁰ الشافعي، الرسالة، ص ١٠٦.

¹⁰¹ المصدر السابق.

وقد بين الإمام الشافعي أن النسخ هو من عند الله سواء كان في القرآن الكريم أو في السنة النبوية، وأن السنة هي بيان للقرآن وتبع له.

ومن خلال دراستي للكتاب وتحليلي له وجدت أن الإمام الشافعي اشترط شروطاً يجب توافرها أثناء وقوع النسخ ومن هذه الشروط أذكرها:

١- لا ينسخ القرآن إلا بالقرآن.

قال الشافعي: «وأبان الله لهم أنه إنما نسخ ما نسخ من الكتاب بالكتاب، وأن السنة لا ناسخة للكتاب، وإنما هي تبع للكتاب، يمثل ما نزل نصاً، ومفسرة معنى ما أنزل الله منه جملاً»¹⁰².

٢- السنة لا تنسخ القرآن.

قال: «السنة لا تنسخ القرآن سواء كانت متواترة أو آحاد»¹⁰³.

يقول الدكتور أيمن الدوري: "ذهب الإمام الشافعي إلى القول بأن السنة لا تنسخ القرآن بحال، لا فرق في ذلك بين السنة المتواترة وأخبار الآحاد. كما أنه لا يُحَكَّمُ بكون القرآن ناسخاً للسنة التي تبدو مخالفة له إلا إذا وردت سنة أخرى تفيد ذلك النسخ وتبيئه. وخالفه في ذلك جمهور من جاء بعده من الأصوليين حتى من أتباع مذهبه"¹⁰⁴.

¹⁰² الشافعي، الرسالة، ص ١٠٦.

¹⁰³ المصدر السابق.

¹⁰⁴ أيمن جاسم محمد الدوري، جهود الإمام الشافعي في خدمة السنة النبوية وعلوم الحديث، مجلة كلية التربية للبنات، العدد ١١، الجزء ١، ٢٠١٩م، ١٣٤.

٣- السنة لا ينسخها إلا سنة مثلها.

قال: «وهكذا سنة رسول الله، لا ينسخها إلا سنة لرسول الله؛ ولو أحدث الله لرسوله في أمر سن فيه، غير ما سن رسول الله: لسن فيما أحدث الله إليه، حتى يبين للناس أن له سنة ناسخة للتي قبلها مما يخالفها.»¹⁰⁵.

٤- النسخ إلى البدل.

قال: «وليس ينسخ فرض أبدا إلا أثبت مكانه فرض. كما نسخت قبلة بيت المقدس، فأثبت مكانها الكعبة، وكل منسوخ في كتاب وسنة هكذا.»¹⁰⁶.

المطلب الثاني عشر: بم يعرف الناسخ والمنسوخ:

قال الشافعي: «ولا يستدل على الناسخ والمنسوخ إلا بخبر من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو بقول، أو بوقت يدل على أن أحدهما بعد الآخر، فيعلم أن الآخر هو الناسخ، أو بقول من سمع الحديث، أو العامة كما وصفت، أو بوجه آخر لا يبين فيه الناسخ والمنسوخ»¹⁰⁷.

وهذه الطرق التي حددها الشافعي في معرفة النسخ في السنة هي ذاتها التي حددها المحدثون من بعده كابن الصلاح، ومن خلال قول الشافعي يمكن

¹⁰⁵ المصدر السابق.

¹⁰⁶ الشافعي، الرسالة، ص ١٠٨.

¹⁰⁷ الشافعي، اختلاف الحديث، ص ٥٩٨.

استنباط الطرق التي يتم بها معرفة النسخ في السنة، والتي هي ذاتها عند ابن
الصلاح:

١- بتصريح رسول الله صلى الله عليه: كحديث بريدة في صحيح مسلم:
«كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها»¹⁰⁸.

٢- بقول الصحابي: كما في حديث علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال:
«كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا بالقيام في الجنازة، ثم جلس بعد
ذلك وأمرنا بالجلوس»¹⁰⁹.

٣- بمعرفة التاريخ: كحديث شداد بن أوس مرفوعاً: «أفطر الحاجم
والمحجوم»¹¹⁰

نسخ بحديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ احتجم وهو محرم
واحتجم وهو صائم¹¹¹.

¹⁰⁸ رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب استئذان النبي ﷺ ربه في زيارة قبر أمه،
رقم الحديث (٩٧٧)، ٦٧٢/٢.

¹⁰⁹ رواه ابو داود في سننه، كتاب الجنائز، باب القيام للجنازة، رقم الحديث (٣١٧٥)،
٢٠٤/٣.

¹¹⁰ رواه ابو داود في سننه، كتاب الصوم، باب في الصائم يحتجم، رقم الحديث (٢٣٦٧)،
٣٠٨/٢.

¹¹¹ رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب الحجامة والقيء للصائم، رقم الحديث
(١٨٣٦)، ٦٨٥/٢.

فقد جاء في بعض طرق حديث شداد أن ذلك كان زمن الفتح، وأن ابن عباس صحبه في حجة الوداع.

٤- ما يُعرف بالإجماع: مثاله حديث معاوية بن أبي سفيان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من شرب الخمر فاجلدوه فإن عاد في الرابعة فاقتلوه»¹¹².

فإنه منسوخ عرف نسخه بالإجماع، وقد وجد الناسخ في السنة كما ذكره الترمذي بعد الحديث السابق عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ قال: «إن من شرب الخمر فاجلدوه فإن عاد في الرابعة فاقتلوه». قال ثم أتى النبي ﷺ بعد ذلك برجل قد شرب الخمر في الرابعة فضربه ولم يقتله.

فوق الإجماع على أن شارب الخمر يجلد ولا يقتل في الرابعة ولا في غيرها. قالوا: والإجماع دليل على النسخ، وليس بناسخ، والإجماع لا ينسخ ولا يُنسخ لكن يدل على وجود ناسخ ولا يعرف إجماع على ترك نص، إلا وقد عرف النص الناسخ له.

الخاتمة: ختاماً: هذا ما منّ الله به، وسمح به الوقت، وتوصل إليه الفهم المتواضع، فإن أصبت فمن الله، وإن أخطأت فتلك سنة الله في بني الإنسان،

¹¹² رواه الترمذي، كتاب الحدود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء من شرب الخمر فاجلدوه ومن عاد في الرابعة فاقتلوه، رقم الحديث (١٤٤٤)، ٤/٤٨.

فالكمال لله وحده، والنقص واختلاف وجهات النظر من صفات الجنس البشري.

ومن خلال ما سبق ذكره، اذكر أهم النتائج التي توصلت إليها، وهي فيما يلي:
١- أن الشافعي رحمه الله حفظ القرآن الكريم وله سبع سنوات وحفظ الموطأ وله عشر سنوات.

٢- كان الشافعي يرى أن الأحاديث إذا صحت وسلم بعضها من احتمال النسخ فإنها متفقة غير مختلفة، بل إنه كان لا يلتجئ إلى النسخ غير المصرح به، إلا إذا تعذر الجمع من كل وجه، وأمكن معرفة المتقدم والمتأخر من الأخبار.

٣- أن علم مختلف الحديث من أجل أنواع علوم الحديث شرفا وقدرًا.
٤- إن الشافعي، بضبطه أوجه التوفيق بين الأحاديث المختلفة، سد بابا كان بإمكان المشككين اليوم ممن ينتسبون للإسلام، ومن غيرهم من المستشرقين ومن قلدتهم أن يلجوا منه للطعن في السنة النبوية، بل إنه بضبطه القواعد التي على أساسها يفهم كتاب الله، وبما قدم من الأدلة إثبات حجية خبر الآحاد سد الطريق على من أراد النصوص الشرعية اليوم سببا مباحا لكل من هب ودب: يفهمها كيف يشاء، ويأخذ منها ما يشاء، ويدع ما يشاء.

٥- أن مختلف الحديث يختص بالنظر في التعارض بين الأحاديث، بينما مشكل الحديث فإنه يعم جميع أنواع التعارض التي يمكن أن توجد، فهو أعم من مختلف الحديث.

٦- أن الشافعي نفى وجود أي حديثين مختلفين اختلاف حقيقي، لا يمكن الجمع بينهما.

٧- الملاحظ أن هناك صنيغاً يكاد يكون مطرداً في منهج الشافعي في ترجيح خبر على خبر: وهو أنه يرجح الحديث بمرجح يعتبره هو الأساس، وهو الفصل؛ ثم يعضده بمرجحات أخرى إن وجد إلى ذلك سبيلاً. وغالباً ما يعضد الحديث بكونه أشبه بكتاب الله أو السنة أو القياس.

٨- والملاحظ كذلك أن الشافعي عندما يرجح حديثاً على حديث يعود أحياناً فيشير إلى احتمال الجمع بينهما بوجه من الوجوه.

٩- ذكر الشافعي أن السنة لا تنسخ القرآن سواء كانت متواترة أو آحاد.

١٠- أن النسخ هو من عند الله سواء كان في القرآن أو في السنة.

فهرس المصادر والمراجع

ابن الصلاح، الإمام أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري. علوم الحديث. مح. نور الدين عتر. الطبعة الثالثة، سوريا: دار الفكر، ١٩٩٨.

ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني. توالي التأسيس لمعالي محمد بن إدريس. مح. ابو الفداء عبد الله القاضي. الطبعة الأولى، لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤٠٦ / ١٩٨٦.

ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر. مح. عبد الرحمن ضيف الله الرحيلي. الطبعة الأولى، السعودية: مكتبة السفير، ١٤٢٢.

ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي. وفيات الأعيان. مح. إحسان عباس. الطبعة الأولى، لبنان: دار الصادر، ١٩٩٤.

ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقي. طبقات الشافعية. مح. د الحافظ عبد العليم خان. الطبعة الأولى، لبنان: عالم الكتب، ١٤٠٧.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي. طبقات الشافعيين. مح. انور الباز. الطبعة الأولى، مصر: مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٣/١٩٩٣.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي ابو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي. لسان العرب. الطبعة الثالثة، لبنان: دار صادر، ١٤١٤.

ابو زهرة، محمد أبو زهرة. الشافعي حياته وعصره آراؤه الفقهية. الطبعة الثانية، مصر: دار الفكر العربي، ٢٠٠٨.

البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، (صحيح

البخاري). مح. محمد زهير بن ناصر الناصر. الطبعة الأولى، لبنان: دار طوق النجاة، ١٤٢٢.

اليهقي، أحمد بن الحسين. مناقب الشافعي. مح. السيد احمد صقر. الطبعة الأولى، مصر: دار التراث، ١٤٣٦ / ٢٠١٥.

الترمذي، محمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى بن الضحاك الترمذي. سنن الترمذي. مح. أحمد شاکر (ج: ١-٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج: ٣)، وإبراهيم عطوة عوض (ج: ٤-٥). الطبعة الثانية، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩٥ / ١٩٧٥.

الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي. معجم الأدباء. مح. إحسان عباس. الطبعة الأولى، لبنان: دار الغرب الإسلامي، ١٤١٤ / ١٩٩٣.

الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي. الاحتجاج بالشافعي. مح. خليل ابراهيم ملا خاطر. باكستان: المكتبة الأثرية، د.ت.

الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي. تاريخ بغداد. مح. الدكتور بشار عواد. الطبعة الأولى، ١٤٢٢ / ٢٠٠٢.

الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب
البغدادي. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع. مح. د محمود الطحان،
السعودية: مكتبة المعارف، د.ت.

الدوري، أيمن جاسم محمد، جهود الإمام الشافعي في خدمة السنة النبوية
وعلم الحديث، مجلة كلية التربية للبنات، العدد 11، الجزء 1،
2019م، 141-143.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي. تذكرة
الحفاظ. الطبعة الأولى، لبنان: دار الكتب العلمية، 1419 / 1998.

الرازي، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي
الرازي ابن أبي حاتم. آداب الشافعي ومناقبه. مح. عبد الغني عبد الخالق.
الطبعة الأولى، لبنان: دار الكتب العلمية، 1424 / 2003.

الرازي، فخر الدين الرازي محمد بن عمر بن الحسين. مناقب الإمام
الشافعي. مح. أحمد حجازي السقا. الطبعة الأولى، مصر: مكتبة الكليات
الأزهرية، 1406 / 1986.

السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين. طبقات الشافعية الكبرى. مح.
د محمود محمد الطناحي، د عبد الفتاح محمد الحلو. الطبعة الثانية، مصر:
هجر للطباعة والنشر والتوزيع، 1413 / 1993.

الشافعي، محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي. الرسالة. مح. أحمد شاكر. الطبعة الأولى، مصر: مكتبة الحلبي، ١٣٥٨/١٩٤٠.

عيد، إسراء محمود، "الترابط بين علمي الحديث الشريف والقراءات القرآنية (دراسة تأصيلية)، Hadis Tetkikleri Dergisi، 2/18، (ديسمبر 2020)، 75-96.

الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي. قاموس المحيط. مح. مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي. الطبعة الثامنة، لبنان: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٦/٢٠٠٥.

القطان، مناع بن خليل القطان. تاريخ التشريع الإسلامي. الطبعة الخامسة، مصر: مكتبة وهبة، ١٤٢٢/٢٠٠١.

المزي، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف ابو الحجاج جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي. تهذيب الكمال في أسماء الرجال. مح. د. بشار عواد معروف. الطبعة الأولى، لبنان: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٠/١٩٨٠.

النووي، محي الدين يحيى بن شرف النووي. المجموع شرح المهذب. طبعة كاملة معها تكملة السبكي والمطيعي، سوريا: دار الفكر، د.ت.

النووي، محي الدين يحيى بن شرف النووي. تهذيب الأسماء واللغات. لبنان:
دار الكتب العلمية، د.ت.

النووي، محي الدين يحيى بن شرف النووي. بستان العارفين. مصر: دار
الريان للتراث، د.ت.

النووي، محي الدين يحيى بن شرف النووي. التقريب والتيسير. مح. محمد
عثمان الخشت. الطبعة الأولى، لبنان: دار الكتاب العربي، ١٤٠٥ / ١٩٨٥.

مسلم، مسلم بن الحجاج ابو الحسن القشيري النيسابوري. المسند الصحيح
المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم،
(صحيح مسلم). مح. محمد فؤاد عبد الباقي. لبنان: دار إحياء التراث العربي،
د.ت.



This work is licensed under a [Creative Commons Attribution-NonCommercial-ShareAlike 4.0 International \(CC BY-NC-SA 4.0\)](https://creativecommons.org/licenses/by-nc-sa/4.0/)